لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مجملاً أجمل في هذه الآية إجمالاً يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره
فيه ويدخل فيه أيضاً جميع أحكام الشريعة وكل ما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الإسلام
هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وأمرهم باتباع جملته
وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والأهواء المضلة والبدع الردية وقيل السبل المختلفة
مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأديان المخالفة لدين الإسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني
فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده وروى البغوي بسنده عن
ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه
وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا عوج فيه
لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة وقال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع
الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن
تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله
عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات إلى قوله لعلكم تتقون أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب يعني التوراة فإن قلت
إيتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت
ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا إلى قوله
لعلكم تتقون ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب وقيل إن المحرمات المذكورة في قوله تعالى أتل ما حرم
ربكم عليكم محرمات على جميع الأمم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني آدم
قديماً وحديثاً ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد إيجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا
أتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد إنا آتينا موسى الكتاب فحذف القول لدلالة
الكلام عليه وقوله تعالى تماماً على الذي أحسن اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماماً على
المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماماً على من أحسن من قومه لأنه كان فيهم محسن ومسيء ويدل على
قراءة ابن مسعود تماماً على الذين أحسنوا وقيل معناه تماماً على كل من أحسن أي أتممنا فضيلة موسى
بالكتاب على المحسنين وهم الأنبياء والمؤمنون أي أتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن
هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب إتماماً للنعمة عليه
لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الأمر وقيل الإحسان بمعنى العلم وتقديره
وآتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه
تماماً مني على إحسان موسى إلى وتفصيلاً لكل شيء يعني وفيه بيان لكل شيء يحتاج إليه من
شرائع الدين وأحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة ورحمة يعني أنزله عليهم رحمة مني
عليهم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب أنزلناه مبارك يعني القرآن لأنه كثير الخير والنفع والبركة
والبركة ولا يتطرق إليه نسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي والأحكام
واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي يكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا
على جزاء التقوى أن تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعني أنزلناه إليك الكتاب
كراهية أن تقولوا إنما أنزل الكتاب وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى
واتقوا أن تقولوا وهو خطاب لأهل مكة والمعنى وأنزلنا إليكم لئلا تقولوا إنما أنزل الكتاب اسم
جنس لأن المراد به التوراة والإنجيل على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وإن كنا

اي وقد كنا

٢٢٤

أي وقد كنا وقيل وإنه كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيهما لأنه ليس بلغتنا والمراد
بهذه الآية إثبات الحجة على أهل مكة وقطع عذرهم بإنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم
والمعنى وأنزلنا القرآن عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكانا
بلغتهم ولم نعرف ما فيهما فقطع الله تعالى عذرهم بإنزال القرآن عليهم أو تقولوا لو أنا أنزل علينا بلغتهم
الكتاب لكنا أهدى منهم وذلك أن جماعة من الكفار قالوا لو أنا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى
لكنا خيراً منهم وأهدى وإنما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة أذهانهم وذكائهم قال الله
عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني حجة القرآن فيه بيان وحجة واضحة لمن تدبرها وهو رحمة وهدى يعني
من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة أنعم الله بها عليكم فمن أظلم أي لا أحد أظلم وأكفر ممن كذب
بآيات الله وصدف عنها يعني وأعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
يعني أسوأ العذاب وأشده بما كانوا يصدفون أي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب إعراضهم وتكذيبهم
بآيات الله قوله تعالى هل ينظرون يعني هل ينتظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن وصدهم
عن آيات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير الآية أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءتهم إحدى هذه الأمور
الثلاثة فإذا جاءتهم إحداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم إيمانهم إلا أن تأتيهم الملائكة يعني لقبض
أرواحهم وقيل أن تأتيهم بالعذاب أو يأتي ربك يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم
الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه
كفاية وأن المجيء والذهاب محال على الله فيجب إمرارها بلا تكييف أو يأتي بعض آيات ربك قال أكثر
المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الأرض أخرجه مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال
طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بابٌ من قبل المغرب مسيرة عرضه أو قال يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين
سنة خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها وفي رواية فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع الناس
نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً م عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها
عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوف
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم م عن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول
الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى
على إثرها قريباً وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال يصبحون والشمس
والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفساً
إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوماً أتدرون أين تذهب الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب إلى مستقرها

هذا